

علي بن عباس لقتال مروان الحمار الذي انكسر أمامها ولاحقته الجيوش العباسية من بلدة الى بلدة أخرى حتى حاصروه في مصر في قرية يقال لها (بوصير) من قرى صعيد مصر وقتله شر قتله، وبقتله سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية فلا أسف على التي سقطت ولا فرح بالتي قامت (١).

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية

عناصر المجتمع

ويعد ان اتم العرب المسلمون فتح العراق وبلاد الشام ومصر في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، تقرر انشاء قواعد تستقر فيها الجيوش، وتقوم منها بالفتوح، ويقوم فيها الولاة المسؤولين عن ادارة الجيوش العربية والاقاليم المفتوحة، وقد اشترط عمر فيها ان لا يكون بينها وبين جزيرة العرب حاجز مائي يفصلها عن الجزيرة وان تكون على طرف الصحراء، بينها وبين الريف، وان يكون مناخها ملائما للعرب.

وكانت هذه المراكز تسمى الامصار، وهي المدينة المنورة في الحجاز، وجواثا في البحرين، والجانبية في الشام، والبصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر ويلاحظ ان كلا من المدينة وجواثا والجانبية كانت قائمة قبل الاسلام، اما الثلاثة الاخرى فقد انشأها المسلمون، وكان كل منها يقرب مركز قد يم فالبصرة انشئت قرب الابله والكوفة قرب الحيرة، والفسطاط قرب حصن بابليون وهيلوبوليس (٢).

وفي خلافة عثمان الغيث قاعدة جواثا، واتخذت البصرة قاعدة اساسية لفتوح الاقاليم الواقعة في جنوبي هضبة ايران وفي خراسان كما ان تعرض بلاد الشام الى تهديدات الروم من الشمال والغرب اخطروهم الى الغاء قاعدة الجانبية والتي توزع القوات الاسلامية على لون الساحلي وفي اجناد بلاد الشام وهي الاردن وفلسطين ودمشق وحمص. ثم قسرين وفي اوائل العصر الاموي انشاء العرب قاعدة لهم في القيروان في شمال افريقية كما حاصروا في المشرق قزوين واردين والري، وكذلك مرو في خراسان، ومصر وبعد ذلك بلخ، وبخارا واقاموا حامية دائمية في مدن متعددة (٣).

تتميز عن المدن الاعجمية، كما ان توزيع العطاء على سكانها وما يتطلبه من تنظيمات خاصة وما يؤدي اليه من نتائج اقتصادية، جعلها تتميز عن بقية المدن العربية الاخرى.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٨٠.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل السلام، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٣) د. نبيد ابراهيم، الخلافة الراشدة، ص ٤٣.

كانت هذه الامصار مراكز الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في القرن الاول الهجري، بحيث يمكن القول ان التاريخ المدون لهذا القرن هو تاريخ هذه الامصار التي جرت فيها معظم الاحداث السياسية التي دونتها الكتب التاريخية ثم ان القاعدة التي سار عليها العرب بصرف واردة الاقليم على معانلة المصر الذين قاموا بفتح هذا الاقليم، ادى الى ان ترد كل مصر مبالغ كبيرة من النقود سنويا لتوزع بين سكانها، وكذلك بدأت النقود تتراكم في هذه الامصار وازداد دخل الفرد وقدرته الشرائية، وارتفع مستوى المعيشة، ونشطت الحياة الاقتصادية بمختلف مظاهرها^(١).

ثم ان استيطان العرب في هذه الامصار، وتأمين العطاء لاسباب حياتهم المادية الاساسية، وتوفر اوقات الفراغ لديهم، جعلهم يتابعون اهتمامهم القديمة بالمناقشات السياسية والادبية التي اخذت تزدهر، ونشطت بجانبها بحوث في عدد من المواضيع الاخرى وخاصة الفقه ثم الحديث والقران، وكان لصلة هذه الامصار بعرب الجزيرة اثر في ازدهار الدراسات اللغوية والادبية في هذه الامصار وخاصة في الكوفة والبصرة وذلك بحكم قريهما من الصحراء وصلتها الوثيقة بالعرب المقيمين في الصحراء والذين يختار كثير منهم حاجاته منها، وقد قوت هذه الصلة الوثيقة بين هذه الامصار وسكان الجزيرة، من خلال الحكم بالمثل البدوية وافكارها وخاصة في الاخلاق والاداب، فكانوا يمجدون الكرم والسخاء والشجاعة والتجدة، وكذلك الشعر الذي يمكن اعتباره بأساس مخيلته وافكاره امتدادا للشعر الجاهلي الصحراوي. وقد ادى نمو الثقافة للثقافة الصحراوية الى نمو اعتقاد بين الناس ان مظاهر هذه الثقافة وقيمها تمثل الثقافة العربية، وان التهجيم عليها يعتبر تهجماً على العروبة^(٢).

وبحاناب ازدهار الحياة الاقتصادية ونموها، ظهرت المشاكل والقضايا التي ادت دراستها الى نمو الفقه والى ظهور عدد من الفقهاء الذين اهتموا بالقضايا والمشاكل التي كان يواجهها المجتمع في امصارهم وقدموا لها الحلول والاجابات ومع انهم اتخذوا القران والحديث اساساً لدراساتهم الا انهم في الامور الكثيرة التي استجدت بعد توسع الدولة وخاصة في ميادين الحياة الاقتصادية، راعوا الاعراف السائدة والتقاليد المتبعة فافروا بها مادامت لاتعارض مبادئ الاسلام وقد سجلت البحوث الفقهية منذ القرن الثاني للهجرة في كتب واضحة كالموطا والمدونة لمالك، وكتب الشيباني، وجعفر الصادق، وصارت هذه الكتب الواسعة اساس المذاهب والدراسات الفقهية الدولية، ولا يزال عدد كبير من الناس يرى ان السبيل التوحيد لاصلاح الاوضاع القائمة هو تطبيق ما جاء في هذه الكتب التي

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٢.

(٢) احمد ابراهيم اشرف، الحياة السياسية ص ٣١.

تعكس كثيرا من اوضاع الامصار الاسلامية في القرن الاول والثاني، اي انهم يرون ضمنيا ان نظم الامصار الاسلامية هي الصورة المثالية للمجتمع الاسلامي السليم^(١).

لقد بينا ان اغلبيّة المقاتلة الذين استوطنوا الامصار هم العرب الذين جاؤوا من جزيرة العرب وكانوا متشبعين بروح البدوة ونظمها فكان تنظيمهم قائما على العشائر، ومن المعلومة ان كل عشيرة تتكون من عدد من الافراد المنحدرين او الذين يعتقدون انهم ينحدرون من جدا واحد مشترك يحملون اسمه عادة، وتضم كل عشيرة عددا من الاسر يتمتع العرب في كل منها بسلسلة روحية وقانونية على افرادها، وخاصة على النساء والاطفال، ولا ريب ان الروابط التي تربط افراد الاسر ببعضهم ببعض وثيقة، ولكن الأسرة لم تكن تعتبر وحدة متميزة ثابتة في المدينة، لان الذكور من افرادها كانوا يعد وصولهم سن البلوغ ينقلون في الغالب ويكونون اسره خاصة مستقلة، الامر الذي جعل عدد الاسر يتغير باستمرار^(٢).

ويقيم افراد كل عشيرة في منطقة محصورة في المدينة تدعى خطة وتسمى باسم العشيرة، ولافراد العشيرة الافضلية في اخذ ارض كل فرد يغادر خطة عشيرته، ويسمى هذا حق العشيرة، وهكذا فان خطة كل عشيرة تبقى محصورة بافرادها سواء زاد عددهم او تناقص.

ويشترك افراد العشيرة الواحدة في بعض الحقوق والواجبات، منهم يساهمون جميعا في دفع ذية القتل الخطا الذي يرتكبه احد افراد العشيرة او مواليتها بصرف النظر عن علاقاتهم بالقائل او المقتول او الجريمة كما انهم يشتركون في وراثة من يموت ولا وارث له من افراد العشيرة.

ولما كانت هجرة العشائر الى الامصار قد تمت بصورة تدريجية ومن غير تخطيط دقيق، فقد ادى هذا الى تباين عدد افراد العشائر والى حدوث مشاكل ادارية كبيرة، ولذلك اعيد تنظيم العشائر في زمن معاوية فجعلت كل عشيرة مكونة من الف مقاتل مع عيالاتهم، وقد قسمت العشائر الكثيرة العدد الى عدة عشائر، اما العشائر الصغيرة فقد ضمت الى اخرى وذلك لكي يكون عدد كل عشيرة الف مقاتل. وبذلك حدث انتظام وتناسق بين مختلف العشائر.

وكان على كل عشيرة فريق مسؤول عن الامن والنظام في العشيرة فعلى العريف مراقبة المشاغبين ومثيري الفلاقل والفتن والخبار الحكومة عنهم، وكانت الدولة تعتبر كل عشيرة مسؤولة عن حفظ النظام ومنع شغب المشاغبين فيها، والا فانها تعاقب العشيرة كلها^(٣).

(١) احمد ابراهيم الشريف، الحياة السياسية، ص ٣٣-٣٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٥-٣٦.

(٣) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ الخلافة الراشدة، ص ١٢٢.

ويحفظ العريف سجلاً بأسماء أفراد العشيبة ومواليها ومقدار عطاء كل فرد، منها وهو يقوم بتوزيع العطاء على الأفراد.

وكانت الدولة توزع العطاء على المقاتلة العرب المقيمين في الأمصار فيعطى كل فرد مقابل خدمته في الجيش أو أسنادة الإسلام، مبلغاً من المال الذي يرد من الغنائم أو جبايات الأقاليم. وقد اعتبر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الأقاليم المفتوحة قيناً على المسلمين، ونظم توزيع جبايتها على المقاتلة العرب في الأمصار.

وكان العطاء فردياً، وقد قدره عمر في الحجاز على أساس السبق في الإسلام، فأعطى كل من شارك في معركة بدر ٥٠٠٠ درهم وفي معركة أحد ٣٠٠٠ درهم، وفي الحديبية ١٥٠٠ أما من أسلم بعد الفتح فقد كان عطاؤهم متبايناً ولكنه لا يزيد على ٥٠٠ ولا يقل عن مائتين.

أما في الأمصار الأخرى فقد فرض عمر للناس حسب أسبقيتهم في المساهمة في الفتح ففرض لمن اشترك في المعارك التي حدثت قبل القادسية واليرموك ثلاثة آلاف درهم ولمن شارك في المعارك بعد القادسية واليرموك ألف درهم، ولمن جاء بعد ذلك خمسمائة . وثلاثمائة وأقل ما فرضه هو مائتين وجعل للنساء مائتين وللاطفال مائة درهم^(١).

غير أنه كان لا بد أن تحدث تعديلات على التنظيمات التي وضعها عمر إذ أن عمر وزع كل جباية الأقاليم ولم يبق احتياطاً للمهاجرين الذين ظلوا يتقاطرون على الأمصار، كما أن عمر لم يضع قواعد لتقدير العطاء لمن يحل محل من كان يأخذ عطاء كبيراً بعد موته، ولا نعلم كيف تطور النظام، ولكن الصورة التي تجدها في المصادر عن العطاء في العصر الأموي تظهر أن الحد الأعلى للعطاء هو الفين وخمسمائة درهم، ويسمى شرف العطاء وهو يعطى للمفتدمين في السن ولمن يبدي بسالة في القتال وكان عدد من في شرف العطاء يبلغ حوالي عشر المقاتلة في كل مصر. أما الحد الأدنى للعطاء فهو مائتي درهم، وهو مبلغ يضمن لمن يأخذه الحد الأدنى من المعيشة. وبين هذين الحدين اصناف يأخذ منهم الناس ٣٠٠، ٤٠٠، ٥٠٠، ٧٠٠، ١٠٠٠، ١٥٠٠^(٢).

ويعطى الأفراد زيادات ومعونه في مناسبات متعددة، كتولي الخليفة منصبه، أو عند الحاجة إلى إرسال البعوث.

(١) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ الخلافة الراشدة، ص ٢٠١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٢- ٢٢٣.

وكان العطاء يدفع سنويا، ويعطى عادة في المحرم اي في اول السنة الهجرية. غير أن الدولة كانت تضطر احيانا الى تأخير دفع العطاء، الامر الذي يسبب كثيرا من المشاكل الاقتصادية للأفراد الذين يعتمدون في معاشهم على العطاء^(١).

وتوزع الدولة بالإضافة الى ذلك، ارزقا من المواد الغذائية قدرت تبعا لحاجة كل فرد. وعلى من يأخذ العطاء ان يجهز نفسه بالسلاح، وان يقاتل مع الجيوش الاسلامية اذا طلبت الدولة منه ذلك، غير انه كان يجوز ان يرسل الفرد مكانة بديلا في البعوث، ويأخذ البديل اجرا من صاحب العطاء مقابل اشتراكه في القتال بدله، وكان كثير من البدلاء من الاعاجم، ولابد ان عددهم ازيد في الحروب التي قامت ضد الخوارج.

وكان عطاء النساء مائتي درهم لكل امرأة، اما الاطفال ممن هم دون السابعة عشر فقد خصص لكل منهم مائة درهم، ويبدو انهم كانوا يختارون من كل اسرة طفلا واحدا فاذا بلغ سن الرشد جعل في العطاء^(٢).

لقد كان العطاء يقدر للأفراد، ويوزع بواسطة العرفاء، ويتم ذلك بان يحسب ما يستحقه افراد كل عشيرة، ويسلم مجموع ذلك الى العريف فيقوم بتوزيعه على الافراد. اي ان تقدير العطاء كان فرديا اما توزيعه فكان جماعيا. واذا لم تكف واردات الدولة لسد تكاليف العطاء فان الدولة كانت تلجا الى انقاص ما يصيب كل عشيرة او تفضل بعض العشائر على غيرها.

ويتبين من هذا ان العشيرة كانت اساس التنظيم الاداري والمالي في الامصار ومن الطبيعي ان العشيرة كانت وحدة عسكرية في تنظيم الجيش الاسلامي اي افراد العشيرة كانوا يقاتلون معا في الجيش، غير ان تسهيلا لادارة الجيش وتنظيمه فقد كان لابد من تجمع بعض العشائر ضمن وحدات كبرى، فكانت تجمع العشائر المتقاربة في النسب ويتكون منها وحدة كبرى يجعل لها رئيس يعينه الخليفة. وقد جعلت البصرة اخماسا اي خمسة قبائل رئيسية، اما الكوفة فجعلت ارباعا اي اربعة اقسام رئيسية.

وتنظرا لكبر حجم القبيلة وكثرة عدد افرادها فانها كانت اهم وحدة في تنظيم الجيش وكذلك في الحوادث والازمات السياسية الكبرى اذ ان كثرة عدد افرادها جعلها اقدر من العشيرة الصغيرة على الدفاع عن افرادها كما ان الوالي كان اسهل عليه ان يتعامل مع قبائل محدودة العدد من ان يتعامل مع عشائر كثيرة.

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن سلام ، الأموال ، ص ٨٠ .

غير ان القبلية رغم اهميتها لم تطغ على العشائر فقد ظلت العشيرة هي الوحدة الاساسية في التنظيم الاجتماعي والمالي والاداري. وكثيراً ما كانت تقوم بين عشائر القبيلة الواحدة خصومات ومنافسات تزيد من اضعاف تماسك القبيلة التي ينتمون اليها^(١).

لقد كانت سلطة القبائل وروابطها القائمة على اساس علاقة الدم والعصبية في العهود الاولى، وذلك لحدائثة عهد العرب بحياة البداوة وما فيها من عصبية قبلية، وكذلك لحاجة الدولة الى خدمات المفاتلة العرب فكان لا بد ان تجارى مشاعرهم.

غير ان استقرار العرب في الامصار ادى تدريجياً الى ضعف الروابط القبلية وروح العصبية وقد ساعد على هذا الاضعاف عدة عوامل منها:

١- ازدياد سلطة الولاة: فالوالي يمثل الخليفة فهو يمثل السلطة العليا وسلطانه فوق سلطان العشائر، وهو المسؤول عن اعداد الحملات العسكرية والقيام بالفتوحات وكان الوالي يقوم بقيادة الحملات بنفسه ولكنه احياناً يختار لقيادة الحملات رجالاً يختارهم بنفسه كما انه هو الذي يختار ولاة الاقاليم والمدن التابعة للمصر، ولما كانت المناصب تدر على من يشغلها جاهاً وارباحاً، فان كثيراً من الناس ابد بتقريبون الى الولاة للحصول على هذه المناصب وبذلك انفصلوا تدريجياً من عشائرتهم والتفوا حول الامير وزادوا من قوته.

وللوالي مكانة خاصة باعتباره ممثلاً للخليفة الذي يعترف بالجمع بمكانته المتميزة في الدولة على الناس، وكان الامير ايضا يرضى المصالح العامة للمجتمع ككل وليس مجرد مصلحة عشيرة واحدة، وكان ايضا يحفظ التوازن بين العشائر.

ثم ان الوالي كان مسؤولاً عن الادارة العامة في المصر وما يرتبط بها من المدن والاقاليم فله سلطات واسعة على منطقة واسعة كما انه كانت تتبعه الدواوين الذين كان الموظفون العاملون فيها يأخذون من الدولة رواتب وينفذون اوامر الوالي، وكان اكثر هؤلاء الموظفين من الاعاجم وليست لهم عشائر تسندهم، فكام من مصلحتهم الالتفاف حول الامير واطاعته وقد ساعد هذا على تثبيت سلطة الوالي.

ثم ان بعض الامراء كانت لهم ثروات واسعة واموال عظيمة تحت تصرفهم وقد ساعدت على توسيع نفوذهم وتقوية مركزهم وتثبيت مكانتهم الشخصية.

٢- تكون روابط جديدة بين السكان قائمة على اساس غير عصبية الدم فان استقرار العرب في المصر واستتباب الامن والسلام ادى الى اختلاط الناس من مختلف العشائر، وحدث التزاوج من العشائر المختلفة، وبذلك نشأ جيل كان كثير من افراده يرتبطون بعشيرة ابيهم

(١) جواد علي، المعصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٢، ص ١١١.

التي تختلف عن عشيرة امهم، فزاد من ارتباط العشائر ببعضها ولم يعد الارتباط بالعشيرة خالصاً^(١).

ثم ان السكان في كل مصر ازداد عددهم لدرجة لم يعد يكفي معه دخل المدينة لمد تكاليف العطاء لجميع السكان الامر الذي ادى الى زيادة عدد من لم يكن من اهل العطاء فاصبحوا خارج سيطرة العشيرة، ولابد انهم اخذوا ينظرون بعين الحسد الى من كان يأخذ العطاء، وكان لابد ان يؤدي ذلك الى تفكك العشيرة^(٢).

٣- ثم ان ازدهار الحياة الاقتصادية ونشاط التجارة واعمال السوق والارياح التي تدرها وحياة الطمأنينة التي توفرها، جلبت كثيراً من العرب الى المساهمة فيها وقد ادت الاعمال التجارية بالمشتغلين بها الى تكوين علاقات بين اناس من عشائر مختلفة، ومن المعلوم ان العلاقات التي تربط رجال الاعمال ببعضهم قد تكون اقوى من الروابط بين الاقارب وهكذا فان المصالح الفردية المتزايدة ومسؤولياتها ادت بالكثيرين الى ان يستقلوا تدريجياً عن عشائرهم.

٤- ومن العوامل التي ادت الى اضعاف الروابط القبلية هو الدين الاسلامي الذي يدعو الى الاخوة والمساواة بين معتقبة والى التفاضيل بالنقوى، بصرف النظر عن اصلهم او جنسهم. لقد اوجد الاسلام روابط جديد واسعة تربط بين من يدينون به واخذ يؤثر على نظرات الناس الاجتماعية، وكان اوضح تأثيراً في اوساط المنتدبين، وفي الفرق الكثيرة التي ظهرت وكانت كل منها تجمع اناساً من مختلف العشائر والاجناس احياناً، فقد كونت هذه الفرق روابط فكرية وعقلية، وساعد انتمائهم الى هذه الاحزاب ومساهماتهم في نشاطها الى زيادة تماسكهم مع افراد فرقهم او حزبهم والى ضعف صلتهم بشعيرتهم^(٣).

التنظيمات الاقتصادية

الثروة الزراعية

ان دراسة الاحوال الزراعية في العالم الاسلامي ابان العصر الاموي أصبحت صعبة ومتشابكة لان الامويين ورثوا دولة واسعة الارحاء على اثر الفتوحات الناجحة التي تمت منذ خلافة الخليفة عمر بن الخطاب(رض) باتجاه المشرق الاسلامي وقبل ذلك في بلاد الشام ولم يقف الامويون عند

(١) يتظر : فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٨١ .

(٢) ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة العباسية ، ص ٢١١ .

(٣) عبد العزيز الجوري ، النظم الادارية ، ص ٨٣ .